وظيفة المعاجم المدرسيّة للتّعليم الأساسيّ

عبد الغني أبو العزم

المغرب

يعد المعجم المدرسي أداة ثقافية بامتياز، لارتباطه ارتباطاً عضوياً بالعملية التعليمية في جميع مراحلها، أي من التعليم الأساسي بما في ذلك روض الأطفال، مروراً بالتعليم الإعدادي والثانوي، ووصولاً إلى التعليم الجامعي.

يختلف المعجم المدرسي عن الكتب المدرسية المقررة شكلاً وحجماً ومادة، لا لكونه يحتوي على مفردات الكتب المقررة ونصوصها، بل لطبيعته المعرفية ولمكانته المتميزة، إذ لا يقف عند حدود شرح الكلمات الغامضة والملتبسة، أو المصطلحات الواردة في نص لأول مرة، أو معرفة كيفية كتابتها خطياً أو إملائياً، بل نجده يتجاوز هذه الرؤية التبسيطية لما يحمله بين ثناياه من مواد لغوية مختلفة ورسوم وصور وخرائط واختراعات منفتحة على مجمل العلوم والنصوص ذات العلاقة بالمعرفة. وبذلك يمكن القول إن المعجم المدرسي ليس مجرد كتاب، أو كتاب من بين الكتب المقررة، فهو من حيث الشكل متميز بضخامته

وصوره ورسومه الإيضاحية، ومن حيث البنية له معالمه المحددة في ضوء منهجيته، إذ يتضمن نصاً ذا محتوى، له خصوصية لغوية ومعرفية، نص موزع ومنعرج، إلا أنه مقدم حسب خطته بطريقة لها نسقها المعجمي الخاص بها، وكل جزء من أجزائه متضامن مع باقي الأجزاء الأخرى، نص داخل نص لا يقرأ من أوله إلى نهايته، حيث يكتفي بفقرة تشرح مدخلا مستقلاً، إلا أن هذه الاستقلالية تجعله يتناول باستمرار وفي كل آن مبحثاً قد يطول أو يقصر عن المعنى الحقيقي أو المجازي للكلمة، أو مبحثاً عن الاستعمال الجيد لعبارة من العبارات، أو جملة مفيدة، أو عبارة مسكوكة، أو أمثال شائعة يمكن استخدامها شفوياً أو كتابياً.

يعدّ المعجم بهذا المعنى نصاً تعليمياً يكشف عن أوجه معاني الكلمات ليغدو نصاً ثقافياً أو لغوياً يتضمن خطاباً حول الكلمات والأشياء، ينقل مجموع أقوال جازمة حول الإنسان والمجتمع، أقوال تشكل قيم القوانين الإنسانية باللغة المختارة من أجل تواصل الجماعة المكونة من القراء ثقافياً واجتماعياً وحضارياً.

إذا كان المعجم المدرسي يكتسب كل هذا التصور التعليمي والمعرفي في آن واحد، فلأنه المدخل الأساسي لولوج عالم الكلمات، لما تشكله بدورها من مدخل لمعرفة الأشياء بمضامينها وتعابيرها، لذا فإن إنجازه ووضعه يتطلب شروطاً ومعايير ليتمكن من أداء مهامه المعرفية.

من هذا المنطلق نطرح باستمرار الأسئلة العديدة حول أشكاله ومناهجه ومضامينه ومواده اللغوية.

ونحن عندما نتحدث في هذا الصدد عن المعجم المدرسي، فإنَّ الحديث يروم مجمل المعاجم المدرسية متعددة الأنواع ومختلفة الأشكال،

إذ لا يوجد معجم مدرسي ثابت، فكل مرحلة تعليمية لها معجمها الخاص المتميز بها، ولكل معجم إطاره ومستواه ومعاييره وشروط إنجازه، وهذا ما سوف نحاول إيضاحه في هذه المداخلة.

1. معجم الأطفال

تعتبر معاجم الأطفال العتبة الأولى لعالم الأشياء المرتبطة بالكلمات والحروف، لكونها تتضمن ما هو قريب منهم وأليف لديهم، يراد تحويله إلى مادة لغوية، لغة يرتبط بها منذ النشأة، مع العلم أنها لغة الكبار أيضاً إلا أن لها خصوصية، أي لها وضعها وسياقها في المعجم اللغوي، وما يميز هذه المادة اللغوية أن لها طبيعتها الخاصة لارتباطها بعالم الطفل حيث تعتمد على الصورة لنقل دلالتها.

يتحكم في هذا النوع من المعاجم التنوع، وما يصاحبه من إبداع ودقة في الإخراج كما هو الشأن في أغلب اللغات الأوروبية، وما هو موجود منها في العربية.

وأود بداية التأكيد على أن معاجم الأطفال قد أحدثت تحولا في الصناعة المعجماتية وتقنياتها، وتحديداً فيما له علاقة بالمعجمية، وحققت بذلك تطوراً هائلاً في المجالين معاً، ومن المفارقات أنها أحدثت أيضاً تحولا في الرؤية إلى المعجم بصفة عامة، لا من حيث التصور فقط، بل وما يتعلق بالمضمون والإنجاز لخضوعهما لأبحاث لغوية وتعليمية ونفسية واجتماعية، في الوقت الذي لم يكن يؤبه بقيمة معاجم الأطفال وما تؤديه من دور تربوي ولغوي، وما كان ينجز منها لم يكن إلا تلخيصاً حرفياً لما في معاجم الكبار.

تختلف معاجم الأطفال من حيث الكم والشكل، منها ما هو مخصص للسنة الأولى إلى السنة الثانية أو الثالثة، وهي غالباً ما تحتوي على عدد محدود من الكلمات، ما بين 70 إلى 200 كلمة، وتحمل العناوين التالية: كلمات أولى، أو كلماتي الأولى، أوكلمات كل الصغار، أو أتعلم الكلمات، وهذا ما يفتح المجال لمعاجم أخرى تضم عدداً من الكلمات ما بين 500 إلى 1000 كلمة، وتحمل عناوين مختلفة : المعجم المصور، معجمي الصغير، المعجم الصغير، معجمي الأول، معجمي الملون، قاموسي الأول، قاموس الصغار، منجد الصغار، رائد الصغار، المعجم الصغير للأطفال، أتعلم الكلمات، بستان الكلمات.

وأغلب هذه المعاجم لا تشير إلى معايير اختيار أرصدتها اللغوية وانتقائها، إذ يفهم ضمنياً أن ما تتضمنه من كلمات مستقاة من الوسط العائلي وأدوات اللعب، أو أن أغلبها متداول وشائع، مع العلم أن مجال لغة الطفل يخضع لدراسات لسانية ميدانية بعيداً عن الإسقاطات العشوائية، حيث يتم تتبع ما ينطق به أول وهلة وبتدرج إلى أن يستقر على دلالة ما يحيط به من أشياء ورموز عبر كل مرحلة من مراحل العمر، فكل مرحلة لها طبيعتها وحاجياتها وتخضع لمعايير محددة لإنجاز رصيدها الخاص بها، وبذلك يمكن القول إن معاجم الأطفال تحتل الواجهة الأولى للتهيؤ لعالم القراءة والكتابة والتمرس بالأشياء لاعتمادها على الرسوم والصور، وعندما يتم نقل الصور عبر كلمات ملفوظة كمقدمة لفك رموزها، فهي بالضرورة تتحول إلى حروف وهذه المهام مُتضمَّنة تلقائيّاً في معجم الروض، إنها مرحلة ما قبل القراءة حيث يفترض أن تأخذ حيزها المعجمي في مسار التكوين الأولي لشخصية الأطفال للتمكن من الإدراك وتصور الأشياء.

2. المادة اللغوية لمعجم روض الأطفال

تتحدد المادة اللغوية لمعجم روض الأطفال فيما هو متداول ومستعمل؛ أي ما يشكل الرصيد اللغوي المرتبط بحياتهم اليومية وبعالمهم الصغير من السن الثانية إلى غاية السادسة، وحسب تجربتي المعجمية في هذا الصدد، لقد اعتمدنا في إنجاز الرصيد اللغوي للمعجم الصغير على الدراسة الميدانية، ومراعاة الضبط وسهولة اللفظ، وهو ما حصرناه فيما يلي :

1- الإنسان؛

2- أعضاء جسم الإنسان؛

3- الملابس؛

4- أدوات اللعب؛

5- الأدوات الأساسية، والأدوات المدرسية وما يحتاجه الطفل منها، والأدوات التي يستعملها الأب في مجال الصناعة الاحتياطية بالبيت كأدوات البناء أو تلك التي تستعملها الأم في الخياطة؛

6- أدوات التزحلق؛

7- بنايات وأدوات التأثيث المنزلي/ نظافة/ مطبخ/ أكل، ضوء ...؛

8- مختلف أنواع الأطعمة؛

9- آلات إلكترونية وإعلامية؛

10- خضر وفواكه؛

11- الطبيعية : أزهار ونباتات وأشجار؛

12- آلات موسيقية؛

13- أنواع الحيوانات من حشرات وطيور وزواحف وأسماك وحيوانات برية وبحرية؛

14- وسائل المواصلات؛

15- آلات الفلاحة والبناء.

تعد هذه الموضوعات التي اعتمدناها للمعجم المصور نواة معجمية استخلصناها من الرصيد اللغوي الذي أنجزناه حسب المعاينة والملاحظة اليومية، ومقابلة مجمل كلماته بما أنجز سابقاً.

تكمن أهمية المعجم المصور في تنوع مواده وموضوعاته، لكونه يسعى ليكون أداة لتنمية مدارك الطفل في التصور والفهم، حيث يؤسس لمرحلة الانطلاق نحو المعرفة، مرحلة تأسيس التكون، كما اعتبرنا في هذا الصدد : إن إدراك الصورة والتعبير عنها باسمها ليس مجرد عملية آلية، بل هو تفتح على عالم المعرفة وفهم له واندماج فيه، وتعميق دلالتها لترتبط فيما بعد بصور أخرى لتركيب مختلف الدلالات، ومن منطلق أن مجرد وضع صور أمام أعين الطفل يحدث تأثيراً فاعلا على نمو إحساسه وتطوره وذوقه وأحكامه، إنها عملية تركيبية مركزة تهيئه إلى عالم الكلمات في أفق تحريك همته مستقبلاً إلى مجال القراءة، أي فك حروف كلمات الأشياء المصورة، مع التأكيد هنا أن الصورة التي يعرفها مسبقاً أو تلك التي يتخيلها ستدفعه إلى إمعان النظر في أشكال الحروف الدالة عليها، وهذه العلاقة القائمة بين الصورة والحروف الدالة عليها ستقوده بالضرورة بعد التمكن من القراءة إلى عالم الكتابة.

3. معاجم مرحلة التعليم الأساسي

لقد سبقت الإشارة إلى أن لكل مرحلة معجمها الخاص بها، أي أن مرحلة التعليم الأساسي من المفروض تعليمياً وتربوياً أن تتنوع معاجمها تدريجياً.

1.3. السّنة الأول من التّعليم الأساسيّ

إذا أردنا القيام باستقصاء ما هو موجود من معاجم لهذه المرحلة، سواء في فرنسا أو العالم العربي، يلاحظ وجود تباين بين كمية المفردات، إذ منها ما يقف عند حدود ألف مفردة، ومنها ما يتجاوز هذا العدد إلى ألف ومائتين، وما يهمنا في هذا الصدد هو الجانب التعليمي والثقافي من جهة، والأسس التقنية والمعجمية التي ينبني عليها معجم هذه المرحلة من جهة أخرى.

إذا كانت هناك رؤية معجمية قد تحكمت في الإنجاز، فمن المفروض أن يكون هذا المعجم مكملا لمعجم الروض، ليقتفي أثره، ويسهم في إزالة الصعوبات التي قد تعترض التلميذ مستقبلاً عند استعماله للمعجم، كما هو الشأن عند من هم أكبر منه سناً، لذا فإن التدريب على حفظ الحروف الألفبائية والطريقة المعتمدة في المعجم هي من الآليات التي يتم تعلمها منذ البداية، وهذه من المهام التي يؤديها معجم المرحلة الأولى من التعليم الأساسي، وتعد من بين الأهداف الرئيسية لوظائفه، انطلاقاً من عالمه ومحيطه اللغوي الذي يُكلِّمه بلغته، لكي يستجيب لحاجيات المدرسة والمحيط العام، ولا غرابة إذا وجدنا أن مجمل المفردات المتضمنة في هذا النوع من المعاجم تظل محصورة في الألبسة والأطعمة والحيوانات والنباتات والحرف والحياة اليومية، هذا

بالإضافة إلى أن عدداً كبيراً من المفردات يأخذ معناه بما يقابله من مفردات أخرى أو ما يعارضها، وعلى سبيل المثال، كبير/ صغير، طويل/ قصير، بحر/ بحيرة، نهر/واد، برق/ رعد.

كما يوجد نموذج آخر من معاجم السنة الأولى من التعليم الأساسي له وظيفة التنشيط اللغوي، إذ يرتكز على مشتقات المادة اللغوية انطلاقاً من الجذر للإحاطة بعدد محدد منها : خرج، خروج، مخرج، أو ما له علاقة بمدخل ما مثل: نحلة، عسل، خلية، أو مستشفى، مريض (ة) ممرض (ة)، دواء، جُرح، سيارة الإسعاف.

وهناك نموذج آخر مرتب ترتيباً ألفبائياً، يعتمد تقديم جملة بسيطة لكل مدخل من مداخل المعجم، تشرح من خلال سياقها دلالة الكلمة ودون إيراد أي شرح لغوي لها، مما يفرض التمكن من القراءة.

يهدف كل هذا التنوع في معاجم التعليم الأساسي إلى تنمية الثروة اللفظية للطفل المسايرة لتطوره ومداركه مما يمكنه من معرفة دلالة الأشياء المحيطة به، وما ينبغي تعلمه منذ النشأة.

2.3. معجم المرحلة الثالثة

ينحصر هذا المعجم عادة في حدود 5000 أو 5500 مفردة حسب المحيط اللغوي، وهذه المادة اللغوية يتم انتقاؤها من الرصيد اللغوي الأساسي، وهو مهيأ ليقع استخدامه مباشرة من لدن التلميذ، على عكس معجم روض الأطفال أو معجم المرحلة العمرية الثانية اللذين يتم استخدامهما بمساعدة الآباء والمدرسين.

لذا فإن هذا المعجم يهدف حسب حجمه ومادته اللغوية إلى :

- التمكن من البحث عن الكلمات في المعجم؛

- التمكن من قراءة الشيء الذي يبحث عنه ويريد معرفته.

لا شك أن هذين الهدفين يطرحان دوما عدداً من الأسئلة يمكن حصرها فيما يلي : هل المعجم أداة تسمح بتعلم كلمات جديدة أو أداة تعطي معلومات حول كلمات معروفة أو غير معروفة ؟ إذا كان هذا النوع من التساؤل يشكل جوهر أوماهية المعجم، فإن الإجابة عنه تكمن في طريقة تركيب المعجم واستخدامه والتعامل مع مداخله، ليتمكن التلميذ من تعلم مفردات جديدة، والإدراك بفهم المعاني واستيعابها إذا كان يعرفها، أو تلك التي لا يعرفها في ضوء اشتغال المعجم باعتباره نموذجاً للاستقبال والفهم، وليس فقط مجرد نموذج للإرسال والإنتاج، وهو بهذا التصور يخزن في الذاكرة كلمات جديدة بمعانيها المختلفة، ويضيف معلومات عنها للمزيد من الإيضاح.

ما يميز هذا النوع من المعاجم أنها لا تتضمن تعريفات للمداخل الواردة فيه، إذ تكتفي بالصورة والجملة التي يرد فيها المدخل مثل :

جَمَلٌ - حيوان ضخم طويل العنق والرجلين.

الجَمَلُ صبور على العطش

ذَكِيٌّ ج. أذكِياء - أحمد سريع الفهم والإجابة، هو من أذكياء الفصل.

خَرَجَ - خَرَجَ من الباب الصغير مرتدياً مِعْطَفَهُ.

- دق الجرس فخَرَجَ التلاميذ من الفصل.

وكما يلاحظ في هذه المداخل أن الشرح اللغوي غائب، إذ يتم تعويضه بمثال أو مثالين، وهو ما يكون كافياً لإيضاح دلالة المفردة المقصودة ومعناها.

تعد أغلب هذه النماذج المعجمية المدخل الطبيعي للتمرس فيما بعد بالمعاجم اللغوية في صيغها المتعارف عليها، وهذا ما يفسر تنوع المعاجم المدرسية الفرنسية على سبيل المثال فيما يخص المرحلة الأخيرة من التعليم الأساسي، حيث تتراوح مداخلها ما بين 000 10 و000 16 و000 17 مدخل أو000 20 مدخل، ونظراً لغياب هذا النوع من المعاجم في اللغة العربية، سأشير إلى نماذج منها في اللغة الفرنسية:

- معجم بوردس (Bordas) 000 10 مدخل.

- المعجم الجديد للمبتدئين (Le Nouveau larousse des débutants) 000 16 مدخل.

- معجم لاروس للمبتدئين (Larousse de débutants) 000 17 مدخل.

- معجم آشيت للشبان (le dictionnaire Hachette, juniors) 000 17 مدخل.

تضع كل هذه المعاجم التلميذ في عالم الكلمات وأجوائها وما يحيط بها، وتعد البدايات الأولى للارتباط بالمعجم في حله وترحاله، كما أن الحاجة المتزايدة لوجود معجم بين أيدي التلاميذ، تضيف بعداً إضافياً بسبب تعدد المواد الأدبية والعلمية، ناهيك عما تحمله وسائل الإعلام وتقنيات المعلوماتية من مفردات جديدة، وهذا ما يطرح ضرورة اعتماد منهجيات معجمية ومعجماتية عند التفكير في وضع المعاجم المدرسية،

نذكر منها :

- الاشتغال في ضوء رصيد لغوي أساسي؛
- الاشتغال في ضوء مدونة لغوية، تراعي مستوى قدرات إدراك التلاميذ في مرحلة التعليم الأساسي لتشكيل مداخل كل معجم على حدة؛ ومن موادها :
- المؤلفات المدرسية؛
- النصوص الأدبية والعلمية والإعلامية؛
- مجلات الأطفال؛
- قصص وكتب الصغار؛
- اختيار عبارات مسكوكة متداولة ذات بعد تربوي وتعليمي؛
- اختيار أمثال شائعة في السياق نفسه.

وما يتعلق بالمنهجيات المعجمية، فإنها تخضع إلى كل الاجتهادات الممكنة لتترك المجال للابتكار والخلق، ونؤكد في هذا الصدد أن تنوع المعاجم ضرورة علمية لتطوير ما هو إيجابي منها، إذ أن الاختيار بين منهجية معجم ومعجم تنصب بالأساس على ما يمكن أن تقدمه من معلومات إضافية وشروح حول الكلمات والأشياء، أو ما له علاقة ببعض الإشكالات اللغوية، وليس هناك اتفاق حول خصوصية منهجية معينة، لأن كل ما هو موجود من اجتهادات بحاجة إلى تطوير دائم ومستمر، وفي ذلك تكمن أهمية المعجم.

المصـادر والمراجـع

- أبو العزم، عبد الغني، المعجم المدرسي، أسسه وتوجهاته، مؤسسة الغني للنشر، الرباط، 1997.

- رياض زكي قاسم في كتاب، الطفل مفرداته الأساسية، إشراف سعاد كيلاني عسيران ط. II، بيروت، 1980.

- الرصيد اللغوي الوظيفي.

- أحمد العايد، «اللغتان الأساسيتان الإنجليزية والفرنسية والرصيد اللغوي العربي»، مجلة المعجمية، العدد الأول، ص. 79/ 108.

- منى حبيب وقاسم شعبان، تدريس اللغة العربية في المرحلة الابتدائية في البلاد العربية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1983.

- S. Bredart, J .A Rondol, L'analyse du langage chez l'enfant, ed. série Mardoge, Paris, 1982.

- Jean et Claude Dubois, Introduction à la lexicographie, le dictionnaire, Larousse, Paris, 1971.

- Christian Duzon, « Au sujet de quelques dictionnaires monolingues français en usage à l'école élémentaire », revue étude linguistique appliquée, janvier-mars 1983.

- Antoine Grégoire, L'apprentissage du langage, la troisième année et les années suivantes, Paris, 1947.

- F. Marchand, L'acquisition du langage : manuel linguistiquée appliqué, ed. de la grave, 1975.

- Obadia, R. Dascotte. M. Glaligny. C. collignon, le lexique, le dictionnaire et les dictionnaires, problème de structure ; classique de Hachette, Paris, 1976.

▪ معاجم فرنسية للأطفال

- *Premier Dictionnaire de bébé*, 1-3 ans, ed. Chantecler, Paris.
- *Premiers mots*, 12/13 mois.
- *Premiers mots*, 13/14 mois.
- *Premiers mots*, 1/3 ans.
- *Mon petit dictionnaire de la nature.*
- *Mes premiers mots.*

- *Les mots des tous petits.*
- Richard scarry, *J'apprends des mots*, ed. Chantecler, Belgique.
- *Imagier,* du père castor, flammarion, paris, 1977.
- *Le grand dictionnaire des tous petits.*
- Agnes Rosenstiehl, *le Larousse des tout-petits (les verbes)*, 1986.
- Agnes Rosenstiehl, *le Larousse des tout-petits, (les noms)* 1986.
- *Mon grand dictionnaire* en images.
- *My first picture dictionary*, 348.
- *My first dictionary* 248 words, for berginning readers with a color picture for each word, a golden book, new work, 1957.
- *Mon Larousse en images*, 1956.
- *Larousse des enfants,* Paris, 1978.
- Lina Rerber Simonne Baudoin, *Mon premier dictionnaire*, Casterman, 1956.
- Germaine Finifter, *Mon premier dictionnaire*, Hachette.
- Frank Marchand, *Dictionnaire actif*, Nathan, 1000 mots, Paris, 1976.
- *Dictionnaire actif de l'école*, Nathan, Paris, 1984.
- Marcel Didier, *Mes 1000 mots*, Bordas, Paris, 1976.
- *Le petit Robert des enfants*, sous la direction de Josette Rey-Debove, Paris, 1988.
- Philippe Amiel, *dictionnaire Hachette, juniors*, Paris, 1986.
- Larousse maxi débutants, *le dictionnaire* CE2, CM 20000, 1986.
- Robert R, Préfontaine, PH.D, Pic-mots, *dictionnaire orthographique GRAFICOR*, Canada, 1987.

▪ معاجم عربيّة للأطفال

- الصادق قويدر، داود مزاح، المتجى عمار، بستان الكلمات، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1985.
- صبحي حموي، منجد الصغار، دار المشرق، بيروت، ط.7، 1989.
- جبران مسعود، رائد الصغير، دار العلم للملايين، 1982.
- وجدي رزق غالي، قاموسي الملون، مكتبة لبنان، 1983.
- إدريس لبكي، قاموس الصغار، مكتبة لبنان.
- د. خضر الجواد، معجمي العربي المصدر، مكتبة لبنان.
- وجدي رزق غالي، لورايس لبكى، معجمي العربي المصور لبنان، دون تاريخ.